# الفصل الثالث
# منهجية البحث العلمى

المقدمة

أ - المنهج التاريخى.

ب - المنهج المقارن.

جـ - المنهج الاستقرائى.

د - منهج المشاهدة والمشاهدة بالمشاركة.

obeikandl.com

obeikandl.com

## المقدمة:

إن البحوث العلمية على اختلاف أنواعها ذات أهمية كبيرة فى كافة الأدوار التاريخية. فالعلم كان ولا يزال يضطلع بدور متميز فى حياتنا اليومية، فهو يؤدى إلى إحداث تغيرات جذرية فى تطور المجتمعات.

فالدراسة العلمية للإنسان والمجتمع هى دعامة من دعامات التفكير البشرى فى فهمه لحاضره ومستقبله. ولا شك أن البحث العلمى الذى يجرى على أساليب علمية سليمة قد أصبح أساسًا لكل تطور واع تقوم به الدول المتقدمة؛ لأن البحث العلمى هو الأساس الذى فى ضوئه تستطيع التنمية الاجتماعية تحقيق أهدافها فى تكوين مجتمع يسوده الرخاء والازدهار ويتحقق فيه تكافؤ الفرص للمواطنين ليكونوا أداة للتغيير والتقدم فى المجتمع.

لقد كان ابن بطوطة وابن خلدون وابن سينا أول من نادوا بضرورة التزام العالم أو الباحث بمنهجية البحث العلمى التى تتطلب ضرورة الفصل الواضح بين الحقائق والقيم، أى الفصل بين ما هو كائن وما ينبغى أن يكون، ومثل هذا الفصل لا بد أن يمكن المفكر الاجتماعى من التخصص بوصف الظواهر وتحليلها والربط بينها من أجل تحليل عملية اجتماعية مهمة كالزواج والأسرة والحرب والحضارة والإرث والملكية والدولة والقانون.

إن البحث العلمى له فائدة كبيرة، حيث يساعد الباحث على تنمية القدرات الحسية ومعرفة أنواع البحوث والأسس والأساليب التى تقوم عليها، ويكسب الباحث الخبرات المناسبة التى تمكنه من القراءة التحليلية الناقدة للبحوث وتقويم نتائجها والحكم عليها.

إن المنهج العلمى فى أى علم هو طريقة يصل بها الإنسان إلى اكتشاف الحقيقة لأية ظاهرة من الظواهر السائدة فى الطبيعة. ولهذا يعد الاهتمام بالبحث العلمى والعناية به من السمات الأساسية لتقدم ونهوض الشعوب والأمم، حيث إن تلك البحوث تقدم حلولاً مناسبة للمشكلات الإجتماعية والنفسية والاقتصادية، التى تعانى منها الكثير من

المجتمعات، كذلك تستخدم لإثبات المعلومات والحقائق والتأكد من صحتها وإنما المعرفة العلمية وزيادتها[١].

والبحث العلمى فى يومنا هذا جزء لا يتجزء من حياة أية أمة، حتى بلغ من اهتمام بعض الحكومات أن شكلت هيئات متخصصة وأنشأت المجالس القومية للبحوث فى مجالات متنوعة[٢].

أما العالم «سكينجر» فيعرف البحث العلمى على أنه نشاط عدد من الأشخاص الذين يبحثون مشكلات حقيقية واقعية محدودة فى نطاق نظام معين[٣].

وعرفه «فان دالين» بأنه محاولة دقيقة ناقدة للتوصل إلى حلول للمشكلات التى تؤرق البشرية وتحيرها[٤].

فى حين يعرفه «وتنى» بأنه عملية تقصى عن الحقائق ومعانيها وتطبيقها بالنسبة لمشكلة ما[٥].

وعرف أيضًا بأنه العلم الذى يعنى بدراسة قواعد التفكير ويجسد حقيقة مفادها بأن ما يصدق على الكل يصدق على الجزء أيضًا[٦].

أما «بولنسكى» فيقول هو استقصاء منظم يهدف إلى إضافة معارف يمكن تصنيفها والتحقق من صحتها عن طريق الاختبار العلمى.

---

(١) كرم، أنطونيوس، العرب أمام تحديات التكنولوجيا، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٨٢، ص ٨.

(٢) الشيبانى، عمر محمد التومى، مناهج البحث الاجتماعى، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧١، ص ١٤.

(٣) سكينجر، رودنى، البحث التربوى أصوله ومناهجه، ترجمة محمد لبيب النجيمى ومحمد منير مرسى، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٤، ص ٨.

(٤) فان دالين، ديولدب، مناهج البحث فى التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون، القاهرة، ١٩٦٩، ص٩.

(٥) الفوال، صلاح مصطفى، مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٣٠ - ٣٢.

(٦) فهمى، سعيد يعرب، طرق البحث، بغداد، مطبعة الحكومة، ١٩٧٣، ص ٥٧ - ٥٨.

وعرفته «ملحس» بأنه محاولة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها وتنميتها وفحصها وتحقيقها بنقصٍ دقيق ونقد عميق ثم عرضها عرضًا مكتملاً[١].

ونرى «غرايبه» يقول بأنه طريقة منظمة أو فحص استفسارى منظم لاكتشاف حقائق جديدة من حقائق قديمة ومعرفة العلاقات التى التى تربط بينها وبين القوانين التى تحكمها[٢].

أما «البياتى» فيقول بأنه استخدام الطريقة العلمية فى دراسة المشكلات من أجل التوصل إلى حلول مناسبة لها[٣].

ومن خلال ما تقدم يمكننا أن نعرف البحث العلمى تعريفًا إجرائيًا بالقول أنه طريقة منظمة تهدف إلى تفسير أو اكتشاف الحقائق ومعرفة العلاقات والقوانين التى تحكم ظاهرة أو مشكلة ما من خلال استخدام مجموعة من الطرق والأساليب والأدوات التى تساعد على وصف الظاهرة والتحكم بها، ومن ثم التنبؤ بمستقبلها.

إن التاريخ الإنسانى قد حفظ لنا أسس التفكير والبحث لعدة قرون، إذ إن جذور أسس التفكير العلمى ترجع إلى الحضارات الأولى فى وادى الرافدين ووادى النيل، فلا يمكن للإنسان أن يتصور أن هناك حضارات دون منهج، فالمناهج فى العصور القديمة وخاصة الفترة التى عاشها البابليون والمصريون القدماء كان اتجاه التفكير فيها اتجاهًا علميًا تطبيقيًا لتحقيق غايات نفعية[٤].

ولما جاء اليونانيون القدماء كانت كلمة بحث بمعنى وجهة نظر عندهم، إذ كان لكل فيلسوف يونانى منهجه وطريقته فى الوصول إلى الحقيقة[٥]. لكن الفيلسوف

---

(١) ملحس، ثريا عبد الفتاح، منهج البحوث العلمية لطلاب الجامعين، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٦١، ص ٣٤.

(٢) غرايبه، فوزى، أساليب البحث العلمى فى العلوم الاجتماعية والنفسية، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٧، ص٥.

(٣) البياتى، عبد الجبار توفيق، ورؤوف عبد الرزاق، مبادئ البحث التربوى لمعاهد المعلمين، مطبعة وزارة التربية، بغداد، ١٩٧٨، ص ٤٦.

(٤) بدر، أحمد، أصول البحث العلمى ومناهجه، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٧٨، ص ٦٤.

(٥) بدوى، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمى، دار القلم، ط٢، بيروت، ١٩٧٧، ص٢.

اليونانى أرسطو طور مناهج البحث وأسلوب التفكير أكثر من غيره بوضعه قواعد المنهج القياسى[١].

وقد قدم العرب مساهماتهم فى هذا المجال ولا سيما فى عصور ازدهار الحضارة العربية التى تمتد من القرن الثامن الميلادى حتى القرن السادس عشر، حيث اكتشفوا المنهج العلمى الخاص بهم، والذى مكنهم من المشاركة فى تطوير العلم والمعرفة، وقد ظل أثرهم بارزًا فى بناء الفكر والمؤسسات الثقافية العربية إلى فترة طويلة[٢].

ولو تتبعنا الآثار العلمية للجاحظ مثلاً لتكتشف لنا بأنه قد ابتدع منهجًا فكريًا قائمًا على الملاحظة والتحليل والمقارنة والنقد والتمحيص[٣].

ومن هذا فإن العرب كانوا يبدون نشاطًا واجتهادًا عجيبين، حين يلاحظون ويمحصون ويراقبون ما تعلموه من التجربة[٤].

ففى القرن الثالث عشر تجد أن نشاط العرب العلمى أصبح أعظم نشاط علمى يعتمد على المنهجية التجريبية فى التفكير العلمى، ذلك أن أى باحث لا يستطيع جمع مادته العلمية وتصنيف بياناته وصياغة فروضه ونظرياته وقوانينه الشمولية التى تصنف وتحلل الظواهر والأحداث تحليلاً اجتماعيًا علميًا دون استعماله مجموعة من المناهج التى تتلائم مع طبيعة دراسته وأهدافها العلمية[٥].

إن المناهج العلمية التى يستعملها المفكرون العرب تحاول تسليط الأضواء على البحث وإغنائه من زوايا متعددة؛ لأن كل منهج بحث يعالج الموضوع من زاويته الخاصة، وعندما تتنوع هذه المناهج فإن معالجات البحث تكون متنوعة وبالتالى تتكامل الصورة

---

(١) ياسين، خليل، منطق البحث العلمى، مطبعة دار الكتب، ج٢، بيروت، ١٩٧٤، ص ٦٥.

(٢) الطاهر، على جواد، مناهج البحث الأدبى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٩.

(٣) فهمى، مصطفى، ومحمد على القطان، علم النفس الاجتماعى، مكتبة الخانجى، ط٢، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٠.

(٤) روزنتال، فرانتز، مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦١، ص ١٥.

(٥) الخشاب، أحمد (الدكتور)، التفكير الاجتماعى، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٠٠ - ٣٠٥.

عند الباحث فى دراسته للموضوع لأنه اعتمد على أكثر من منهج واحد فى الدراسة من أجل التوصل إلى معلومات واستنتاجات تفصيلية وواقعية عن موضوع معين[١].

والمنهج العلمى الذى يستخدمه الباحث كالمنهج التاريخى والمنهج المقارن والمنهج الاستقرائى ومنهج المشاهدة والمشاهدة بالمشاركة، هى تمد الباحث بمعلومات موضوعية تتعلق بالحقائق، وبما هو كائ فعلاً وحقيقةً ولا تتعلق بالقيم والأحكام وما ينبغى أن يكون[٢].

بعد هذه المقدمة عن أهمية مناهج البحث فى توطر البحث العلمى عند العرب وغيرهم من العلماء، نستطيع عرض وتحليل أهم مناهج البحث العلمى التى استعملها المفكرون العرب وغيرهم من العلماء فى جمع وتصنيف وتحليل وتنظير ما كتبوه وألفوه وهذه المناهج هى ما يلى:

## ١ - المنهج التاريخى:

إن المنهج التاريخى يبحث فى الماضى السحيق الموغل فى القِدم ويهدف إلى كشف ما دار فيه والعوامل الجوهرية المؤثرة فى الأحداث التاريخية والربط العقلانى الموزون بين حادثة وأخرى، بالإضافة إلى دراسة نتائج الحادثة وأثرها على مسيرة المجتمع التحولية وعلاقتها بالأهداف العليا التى يريد المجتمع بلوغها خلال فترة زمنية محدودة، فالمنهج التاريخى هو الطريقة التى يتم بها دراسة تاريخ الإنسان وجهوده ومنجزاته وحضارته العريقة، والتاريخ هو سرد للجهود والأعمال التى قام بها الإنسان وكشف لقواه الكامنة الأصلية، وبهذه الطريقة استطاع الإنسان من خلال تفكيره العقلى الموزون السيطرة على الطبيعة فى الوقت الذى استطاع فيه تحسين علاقاته الاجتماعية مع الآخرين.

ترك هذا المنهج آثارًا كبيرة فى دراسة التاريخ النفسى، إذ إن رواده يعتقدون بأن الماضى لا يمكن أن يفهم من خلال دراسة الحاضر وليس واجب المؤرخ وصف الظواهر التاريخية، وإنما على المؤرخ الربط بين الأنظمة السابقة والحاضرة التى يشهدها المجتمع المعاصر؛ لأن الظواهر الاجتماعية ترتبط ارتباطًا كبيرًا بواقع المجتمع فى الاضى ولا بد

---

(1) Abrans, M., Social Surveys and Social Action Heine Mann, London, 1951, p. 3.

(٢) حسن، عبد الباسط محمد (الدكتور)، أصول البحث الاجتماعى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٧١، ص ٤٠٤.

للباحث الاجتماعى من الرجوع إلى الماضى لتعقب الظاهرة منذ نشأتها ومعرفة عوامل تبدلها من حال إلى حال[1].

فالمنهج التاريخى يسعى إلى تفسير النظم المختلفة فى وجودها الواقعى واتجاهاتها، ويزودنا بمعلومات حول أصولها وتطوراتها المتوقعة وبإحساس تاريخى منظور وتطورى، فالأحداث ليست منعزلة ومستقلة بعضها عن بعض، ولكنها مترابطة فى سياق زمنى محدد.

إن الغرض من استخدام المنهج التاريخى فى علم الاجتماع هو الوصول إلى المبادئ والقوانين العامة للظواهر الاجتماعية، وعن هذا الطريق يحاول الباحث الاجتماعى أن يربط الحاضر بالماضى، ويحاول أن يفهم القوى والظروف الاجتماعية الأولى التى شكلت الحاضر لكى يصل إلى وضع القوانين العامة المتعلقة بالسلوك الإنسانى للجماعات والمؤسسات والنظم الاجتماعية[2].

يُعدّ الفارابى من المفكرين الذين يؤمنون بالمنهج التاريخى العلمى القائم على الملاحظة والوصف والتحليل والنقد ومحاولة التفسير، ويشير إلى أن هناك قوانين تحدد مسيرة المجتمع وصيرورته ومروره فى مراحل تاريخية متباينة تتصف كل مرحلة منها بصفات معينة. أما عملية التحول والصيرورة الاجتماعية فهى عملية حتمية لها بدايتها ولها نهايتها وأسبابها ونتائجها الظاهرة والكامنة، والتحول الاجتماعى كما يراه الفارابى هو شىء حتمى يتسم بالاستمرارية والفاعلية، فالمجتمعات تتحول من مجتمعات غير كاملة إلى مجتمعات كاملة، والمجتمعات الكاملة تتحول من مجتمعات صغرى إلى مجتمعات وسطى ثم مجتمعات كبرى، أما المجتمعات غير الكاملة فإنها تتحول من مجتمع الأسرة إلى مجتمع المحلة ثم إلى مجتمع القرية[3].

علمًا بأن المجتمعات غير الكاملة تتحول تاريخيًا إلى مجتمعات كاملة، أما سبب

---

(١) التل، صفوات خلف (الدكتور)، العلوم والفنون عند العرب ودوره فى الحضارة العالمية، دراسات فى المجتمع العربى اتحاد الجامعات العربية، عمان، ١٩٨٥، ص٣٨٥.

(٢) حسن، عبد الباسط محمد (الدكتور)، أصول البحث الاجتماعى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٧١، ص ٤٠٥.

(٣) عبد الباقى، زيدان (الدكتور)، التفكير الاجتماعى، نشأته وتطوره، القاهرة، مطبعة دار النشر الثقافية، ١٩٧٢، ص ٨١.

التحول (الصيرورة) فيرجعه الفارابى إلى تعقد نظم التضامن البشرى نتيجة زيادة السكان وتشعب الحاجات ونزوع الإنسان إلى التعاون الذى يحقق له الكمال أو السعادة[١].

أما الغزالى فقد اعتمد على المنهج التاريخى من خلال تفسيره لحقيقة الاجتماع الإنسانى، حيث ركز على نقطتين أساسيتين هما طبيعة الإنسان والقوى المحركة له ودراسة النظم والمؤسسات من ناحية أصولها ووظائفها وطريقة تحولها من نمط إلى آخر.

وقد اعتمد الغزالى فى دراسته لطبيعة المجتمع الإنسانى ودوافعه على ثلاثة مصادر أساسية هى:

أ - المبادئ الأساسية للإسلام، وما أكدت عليه من قيم روحية وسماوية منظمة لسلوك الإنسان.

ب - الأحداث السياسية والاجتماعية والروحية التى شهدتها الأمة العربية الإسلامية فى عصره.

جـ - التراث الاجتماعى والحضارى الذى نقله العرب والمسلمون عن الإغريق والرومان[٢].

ومن رواد هذا النهج أيضًا هو العلامة ابن خلدون الذى كان عالمًا يؤمن المنهج التاريخى العلمى القائم على الملاحظة والمشاهدة والوصف والتحليل والنقد ومحاولة التفسير. إن المنهج التاريخى الذى اعتمده ابن خلدون فى أبحاثه ودراساته الاجتماعية يبدأ بتحليل أصل وجود المجتمع وحتمية حركته وتطوره عبر الأجيال والعصور.

ويؤكد ابن خلدون على أن هناك قوانين تاريخية تحدد مسيرة المجتمع، والمجتمع البشرى شأنه شأن الفرد يمر بمراحل منذ ولادته وحتى وفاته، وأن للدولة أعمار تتحدد بثلاث أجيال والجيل هو أربعون سنة، وفى هذه الأجيال الثلاثة يمر المجتمع بمرحلة النشأة والتكوين ومرحلة النضوج والكمال وأخيرًا مرحلة الهِرَم والشيخوخة[٣].

---

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، الأوليات التاريخية لاهتمامات العرب بعلم الاجتماع، مجلة المورد، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، ١٩٨٦، ص ١٧.

(٢) الخشاب، أحمد (الدكتور)، التفكير الاجتماعى، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٣) عزت، عبد العزيز (الدكتور) تطور المجتمع البشرى عند ابن خلدون، مهرجان ابن خلدون، القاهرة، منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٦٢، ص ١٣٠.

إن منهجية ابن خلدون التاريخية منهجية تشمل دراسة ماضى وحاضر المراحل التاريخية للمجتمعات وللنظم الاجتماعية الفرعية. ويعتقد ابن خلدون بأن استمرارية المجتمع البشرى فى التغير والتطور لها نتائجها الواضحة المعالم، وهذه النتائج تتجسد فى تغير وسائل الضبط الاجتماعى وتغير هيكل التوزيع الجغرافى والمهنى والاجتماعى للسكان وتحسن أنماط الحياة ومستويات المعيشة وتسريع عملية الحراك الاجتماعى بين الشرائح والطبقات.

إن فضل ابن خلدون فى تطور المنهج التاريخى يكمن فى ناحيتين أولهما بين التاريخ وفلسفة التاريخ، والثانية هى محاولته معرفة العلل والأسباب التى تفسر الوقائع والأحداث التاريخية[١].

فالتاريخ بالنسبة لابن خلدون هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل معين، بينما فلسفة التاريخ هى معرفة الأحوال والظروف العامة لأجيال وعصور. وقد مكنت هذه الدراسة ابن خلدون من استقراء نظريات كثيرة خاصة بالعمران البشرى، وساعدته فى معرفة وإدراك ظاهرة التغير الاجتماعى. ويضيف ابن خلدون فى دراسته للمجتمع دراسة تاريخية معلومات قيمة أخرى هى ضرورة قيام الباحث بدراسة تطور الظواهر والنظم العمرانية دراسة ديناميكية تاريخية؛ ذلك لأن الظاهرة العمرانية ظاهرة متطورة ومتبدلة، ويحرص ابن خلدون على أن يفسر ويعلل الظاهرة العمرانية فى حالتى استقرارها وتطورها ونموها بظاهرة اجتماعية عمرانية أخرى وفقًا للأساس الذى ينادى به أصحاب المدرسة الاجتماعية الحديثة.

ويوضح بأن الظاهرة الاجتماعية لا يمكن أن تحدث فى فراغ؛ لأنها نتاج الماضى وثمرة عوامل عديدة تفاعلت بمرور الأيام وأعطتها وضعها الذى توجد عليه فى الوقت الحاضر، هذا النوع من الدراسة للظاهرة الاجتماعية يعنى الأخذ بنظر الاعتبار التطورات والتغيرات المختلفة لكل ظاهرة من الظواهر عبر التاريخ[٢].

---

(١) سالم، نادية حسن (الدكتورة) أصالة ابن خلدون، ندوة التراث الاجتماعى العربى، الخرطوم، ١٩٨٥، ص ٩.

(٢) عيسى، محمد طلعت (الدكتور)، البحث الاجتماعى، مبادئه ومناهجه، مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الثانية، ١٩٦١، ص ٢٢٩.

وقد انتقد ابن خلدون من سبقه من المؤرخين لعدم ذكرهم الأسباب والعلل الكامنة وراء حدوث الظواهر الاجتماعية، بهذا يمكن أن يعتبر ابن خلدون أول عالم يدعو صراحة إلى استخدام المنهج العلمى فى دراسة المجتمع[١].

لقد أراد ابن خلدون من تطبيق المنهج العلمى أن يخلص البحوث التاريخية من الخرافات والأخبار الكاذبة، ولذلك وضع معايير وضوابط يستطيع بواسطتها الباحثون فى التاريخ التمييز بين الحقائق من جهة، والخرافات والأكاذيب من جهة أخرى[٢].

والمنهج التاريخى العلمى فى رأى ابن خلدون لا ينزع إلى النقل والسرد والخلط، وإنما يقوم على ملاحظة أسباب الوقائع والأحوال، ولذلك فهو يعتمد على طرق فنية فى التحقيق والتنقيح، كما يشير ابن خلدون إلى إجرائين آخرين هما النقد الصحيح والاحتكام إلى طبائع العمران وأحواله. والواقع أن هذا الإجراء الأخير يوضح وجهة نظر ابن خلدون فيما يجب أن يتناوله البحث التاريخى، إذ يجب أن يتسم هذا البحث بالشمول لكافة نواحى الحياة الاجتماعية والسياسية. ولهذا فالبحث باستخدام المنهج التاريخى يفرض على الباحث متطلبات أساسية، فمن الضرورى الالتفات إلى وقائع التغيير والتبديل التى تجعل الأجيال المختلفة بعضها عن بعض، ولا يمكن أن يقتصر البحث التاريخى على مجرد السرد وإنما يطوى على بعد سياسى حاسم ورئيسى ذلك أن ابن خلدون يصف هذا البعد باعتباره عاملاً رئيسيًا من عوامل التغير الاجتماعى والحضارى.

أما العالم أحمد بن على المقريزى فقد تأثر بابن خلدون فى مؤلفاته، حيث استعمل المنهج التاريخى فى دراساته لتاريخ المجاعات التى تعرضت لها مصر منذ أقدم العصور، وأثناء بيانه لتلك الأخبار يتعرض لأسبابها وطرق الوقاية والعلاج وموقف الحكام منها[٣].

---

(١) الساعاتى، حسن (الدكتور)، المنهج العلمى فى مقدمة ابن خلدون، أعمال مهرجان ابن خلدون، القاهرة، منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٦٢، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) عبد المولى، محمود، ابن خلدون وعلوم المنهج، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧١، ص ٧٧.

(٣) زيادة، محمد مصطفى (الدكتور)، المقريزى المؤرخ الكبير، مجلة الغربى، العدد الرابع عشر، كانون الثانى، ١٩٦٠، ص ٢٨.

ومن خلال ما تقدم نستنتج بأ العالم الاجتماعى لا يستطيع دراسة وفهم وتحليل النظم الاجتماعية والظواهر الحضارية دون دراستها دراسة تاريخية مفصلة، طالما أن النظم والظواهر الاجتماعية المعاصرة ما هى إلا وليدة التحولات التاريخية التى طرأت عليها فغيرتها وجعلتها بصفاتها الحاضرة التى نشعر بها الآن[١].

وعندما يدرس المفكر الاجتماعى المجتمع فإنه يضطر إلى معرفة المراحل التاريخية التى مرّ بها، حيث إن دراسة ماضى المجتمع تمكن المفكر من فهم واستيعاب حاضره وفهم كل من الماضى والحاضر يساعدنا فى تنبؤ المستقبل وكشف أسراره وكوامنه[٢].

فالمنهج التاريخى يستعين بعدة تقنيات يستطيع من خلالها المفكر معرفة ما وقع فى الماضى، وهذه التقنيات تتجسد فى الكتب والمصادر والمخطوطات القديمة والبقايا والمخلفات الأثرية كالبنيات والمقابر والنقود والآثاث والمفكرات والوثائق والمستمسكات وسير الشخصيات والقادة والملوك[٣].

إن هذه التقنيات تعتبر المادة الأساسية للمؤرخ لاحتوائها على أعمال وأفعال الناس فى الزمن الماضى[٤].

وعلى هذا الأساس فإن المفكرون الاجتماعيون العرب وغيرهم يستخدمون المنهج التاريخى بشكل أساسى فى بحوثهم ودراساتهم للظواهر الاجتماعية.

## ٢ - المنهج المقارن:

هو الطريقة التى يستعملها الباحث أو المفكر الاجتماعى فى جمع المعلومات الوصفية حول الظاهرة المراد دراستها ومقارنتها واستخراج القوانين الكونية التى تستند إلى أدلة وبراهين إحصائية وعلمية لها أهميتها فى تفسير طبيعة الظاهرة المدروسة. ولها الفضل الكبير فى تحديد طبيعة السلوك السائد فى المجتمع ونوعية العلاقات الاجتماعية

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، علم الاجتماع دراسة نظامية، بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٧٦، ص ١٢٠.

(٢) الخشاب، أحمد (الدكتور)، التفكير الاجتماعى، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٠٥.

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، بيروت، دار القلم، ١٩٧٨، ص ٩ - ١٢.

(٤) بدوى، عبد الرحمن (الدكتور)، مناهج البحث العلمى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٨٤.

بين الأفراد والجماعات، وتدرس صفات ووظائف وخصوصيات الأنماط المختلفة فى المجتمع[١].

إن طريقة المقارنة تقوم على دراسة النظم والأحداث الاجتماعية فى الماضى والحاضر وجمع المعلومات الضرورية عنها، ثم تحليلها ومقارنتها بهدف استنباط بعض المبادئ الاجتماعية العامة[٢].

إن هذا المنهج يتوخى مقارنة المراحل التاريخية التى مرّ بها المجتمع والنظم والتراكيب الاجتماعية فى مناطق جغرافية متباينة لتوضح أوجه الشبه والاختلاف بين هذه المجتمعات والجماعات.

ويُعد الفارابى من أول العلماء العرب والمسلمين الذين اعتمدوا على المنهج المقارن فى الدراسة والبحث، فقد قارن بين المجتمعات الكاملة والمجتمعات الناقصة[٣].

فالمجتمعات الكاملة هى المجتمعات التى يتحقق فيها التعاون الاجتماعى والتى تستطيع جلب السعادة والرفاهية للإنسان، أما المجتمعات الناقصة فهى المجتمعات التى لا يتوفر فيها التعاون الاجتماعى، ولا تستطيع تحقيق الاستقرار والسعادة للإنسان، كما يقارن الفارابى بين الأنماط الثلاثة من المجتمعات الكاملة، وهى المجتمعات الصغرى والوسطى والكبرى، وكذلك يقارن الأنماط الثلاثة من المجتمعات غير الكاملة أو الناقصة وهى مجتمع الأسرة ومجتمع المحلة والقرية.

ويستعمل الفارابى منهجه المقارن فى دراسة المدينة الفاضلة ومقارنتها بالمدينة الجاهلة، فالمدينة الفاضلة هى التى يؤدى فيها الإنسان أداءً تامًا بفضل ما يسود فيها من علاقات وتعاون وألفة ومحبة وما يتوفر فيها من عدالة ومساواة وديمقراطية تحدد علاقة الحاكم بالمحكوم[٤].

---

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، علم الاجتماع السياسى، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٤، ص ٢٠٩.

(2) Radcliffe - Brown, A. Structure and Function in Primitive Societies, London, Oxford Univesity Press, 1950, pp. 30 - 80.

(٣) غالب، مصطفى (الدكتور)، الفارابى، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٧٩، ص ٩.

(٤) أحمد، غريب محمد رشيد (الدكتور)، تاريخ الفكر الاجتماعى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٩، ص ٨٢.

أما المدينة الجاهلة فهى المدينة التى لا يعرف أهلها السعادة ولا يعترفون بها ولا يقيمون لها وزنًا[١].

وقارن الفارابى بين الأنماط المختلفة للمدينة الجاهلة كالمدينة الفاسقة والمدينة الضالة ومدية الإباحية وغيرها، فالمدينة الجاهلة هى المدينة التى لا يعرف أهلها أعمال الخير فهم لا يميزون بين الخير والشر بسبب تخلفهم وتحجرهم. أما المدينة الضالة فهى المدينة التى يعتقد أهلها بمبادئ ووصايا الدين إلا أهم يسيئون إلى الدين ويحرفون تعاليمه وأوامره ويجتهدون فى مبادئه بطريقة تتعارض مع جوهر الدين وتتنافى مع روحه الحقيقية[٢].

وقارن الغزالى بين العلوم غير الشرعية وبين العلوم المحمودة والعلوم المذمومة، وقارن بين ظاهرة البيع والشراء وظاهرة الربا والإجارة.

وتناول الغزالى فى دراساته الاجتماعية الاتجاهات السلوكية عند الجماعات والشرائح الاجتماعية، حيث قارن بين هذه الطبقات وأوضح صفاتها الخاصة والعامة مركزًا على العوامل الأساسية المسؤولة عن وجودها وديمومتها وتحولها من طور إلى طور آخر. كما عالج الفوارق الأساسية الموجودة بين هذه الطبقات. وفى مجال آخر تناول الغزالى موضوع النفس البشرية حيث قال: «أما النفس الإنسانية الناطقة فتنقسم قواها أيضًا إلى قوة عاملة وقوة عالمة» وقارن بينهما وأوضح خصائص كل منهما.

أما الماوردى فقد استعمل هذا المنهج فى دراساته الاجتماعية التى تتعلق بالنظام السياسى الذى كان سائدًا فى زمانه مقارنة مع الأنظمة السابقة وما طرأ عليها من تغيرات بسبب الظروف البيئية، وقد ميّز بين الخلافة والإمارة واعتبر الإمارة شكل خاص من أشكال الوزارة اعتمد ابن خلدون منهجه المقارن فى دراسة المجتمع دراسة سكونية ودراسة ديناميكية فى آن واحد[٣].

---

(١) عبد الباقى، زيدان (الدكتور)، التفكير الاجتماعى، نشأته وتطوره، القاهرة، مطبعة دار النشر الثقافية، ١٩٧٢، ص ٨٤.

(٢) فروخ، عمر (الدكتور)، تاريخ الفكر العربى حتى أيام ابن خلدون، بيروت، دار عالم الكتب، ١٩٦٢، ص ٢٨٧ - ٢٨٩.

(٣) الخشاب، أحمد (الدكتور)، التفكير الاجتماعى، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٠٥.

ففى دراسته السكونية يحدد ابن خلدون ماهية النظم الاجتماعية أو العمرانية التى يتكون منها البناء الاجتماعى، وهى النظام الدينى والاقتصادى والسياسى والأسرى. وفى هذه الدراسة يوضح أهمية وظائف النظام العمرانية ويقارن بنهما ويستخلص القوانين الشمولية حول عملياتها وتفاعلاتها وتكاملها وصيرورتها وعلاقتها بالفرد والمجتمع.

أما الدراسة الديناميكية للمجتمع فتنطوى على تصنيف المجتمعات إلى أنماط مختلفة كالمجتمعات البدوية والمجتمعات الحضرية، ويقوم بالمقارنة بين البداوة والحضارة وتحديد صفاتها ووظائفها.

وأكد ابن خلدون على ضرورة الاعتماد على منهج البحث المقارن وقد أدرك عن كثب سر تباين المجتمعات وتشابهها وأرجع هذه العوامل إلى أثر البيئة والعوامل الجغرافية، لذلك نراه يعرض بإسهاب أثر الإقليم والطقس وأحوال المعيشة فى أخلاقية الشعوب وطباعهم وأحوالهم الاقتصادية ومدى تأثر الظواهر السياسية بهذه العوامل.

ولم يغفل ابن خلدون الكلام عن تباين المجتمعات فى التقاليد والعادات والنظم الاجتماعية وما إليها، وما يدل على مبلغ اهتمامه بالمنهج المقارن أنه عقد فصلاً درس فيه دراسة علمية وصفية تحليلية «عوامل التباين فى المجتمعات» ويعبر ابن خلدون عن هذه القاعدة المنهجية بقوله: «إذا لم يقس الغائب من الأخبار بالشاهد منها، والحاضر بالذاهب، فربما لا يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق».

ومن خلال استخدام ابن خلدون لهذا المنهج استطاع اكتشاف قانون التشابه والتباين، فالتشابه يتأتى من حقيقة تشابه المجتمعات فى بنائها ووظائفها وتحولها من نمط لآخر، أما التباين فيفسر اختلاف المجتمعات فى ظروفها وأحوالها وعاداتها وتقاليدها ومستويات تقدمها ونضجها الحضارى والتاريخى[1].

ويستعمل ابن خلدون منهج المقارنة فى تصنيف المجتمعات إلى أنماط مختلفة تبعًا للمهن التى تزاولها والحياة الاقتصادية التى تعيشها، وقارن بين أوجه المعاش المختلفة،

---

(١) التوانسى، أبو الفتوح محمد، ابن خلدون، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦١، ص ٢١.

حيث يعتبر الفلاحة أقدمها وهى مرتبطة بالحياة البدوية وربط التصنيع بالتحضر، وقد كتب ابن خلدون فى ذلك يقول: «وأما الفلاحة والصناعة والتجارة فهى وجوه طبيعية للمعاش، أما الفلاحة فهى متقدمة عليها كلها بالذات، إذ هى بسيطة وطبيعية وفطرية لا تحتاج إلى نظر ولا علم»[١].

ويربط ابن خلدون بين المستوى الاقتصادى للمجتمع وبين الطباع والأخلاق فيقول بأن لكل مستوى اقتصادى طبائعه وأخلاقه، فالبدو بصورة عامة أقرب إلى الشجاعة والتضامن والعصبية والأخلاق الحميدة، والحضر أقرب إلى الرفاهية والتأنق، وأبعد عن الأخلاق المحمودة - ولعلماء الغرب دور لا يخفى فى تطور هذا المنهج فقد أوضح «جون ستيوارت ملز» بأن المنهج المقارن يعنى مقارنة نظامين متماثلين فى جميع الظروف ولكنهما يختلفان فى عنصر واحد، ومن خلال دراسة أوجه التماثل والاختلاف يمكن استخراج القوانين الكونية عن النظم والمؤسسات الاجتماعية التى تساعد الباحث على فهمها واستيعاب عناصرها الجوهرية[٢].

أما العالم الاجتماعى «إميل دوركهايم» فقد استعمل هذا المنهج وطبقه على دراسة الأنظمة الشرعية فى العالم، حيث قارن بين عدد من الأنظمة فى مجتمعات مختلفة تتمتع بمستويات متباينة من التقدم الحضارى المادى، ولدى مقارنته بين هذه المجتمعات استعمل القانون كمؤشر للصفات الأخلاقية فى المجتمع بعد أن فحص فرضيتهُ القائلة بأن زيادة تقسيم العمل دائمًا ما تؤثر على طبيعة التكامل والتماسك الاجتماعى.

إن المنهج المقارن كان يمثل محوراً أساسيًا فى أعمال المفكرين الاجتماعيين العرب من خلال مقارنة ظواهر وعادات، وقيم وآداب مجتمعاتهم خلال فترات تاريخية متباينة واستنبطوا قوانين كونية شمولية على جانب كبير من الدقة والموضوعية تحكم طبيعة الظواهر والتفاعلات، وتحدد مسيرة المجتمعات والحضارات وترسم أنماط البنى والتراكيب المؤسسية التى يتكون منها البناء الاجتماعى[٢].

---

(١) محمد، محمد على (الدكتور)، تاريخ علم الاجتماع، الرواد والاتجاهات المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٦٨.

(٢) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، علم الاجتماع، دراسة تحليلية فى النظريات والنظم الاجتماعية، مطبعة التعليم العالى، بغداد، ١٩٨٨، ص ٦٨.

(٣) الجوهرى، عبد الهادى (الدكتور)، قاموس علم الاجتماع، طبع مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٢٢٥.

## ٣ - المنهج الاستقرائى:

إن الاستقراء عند العرب طريقة بحثيـة تقوم على استنتاج الحقائق والمعلومات من الأدلة والبراهين والحجج العلمية المتيسـرة عند الباحث كأن يستنتج الباحث وقوع ظاهرة اجتماعـية معينة كالتحضـر مثلاً من دراسة الظروف العامة التى يشهـدها المجتمع كزيادة السكان والاحـتكاك الحضـارى بالمجتـمعـات الراقيـة وانتشـار العلم والمعرفـة والتنمـية الاقتصادية. فإذا استطاع الباحث أن يصل إلى نتيجة عن طريق الاستقراء فمن الممكن أن يستخدمها كحجة علمية فى استدلال استنباطى وفلسفى، وهذا يدل على أن البحث عند العرب يعـتمد على الاسـتقراء، ويعتـمد على الاستنبـاط أيضًا فكل جانب يعـزز نتائج الجانب الآخر ويـدعم صحتها وعلميتها، وعليـه فإن هذا المنهج يقوم بدراسـة العلاقة السببيـة بين عاملين متلازمين العامل المستـقل والعامل المعتمد أو الثانوى وبعـدها يستقرأ المرحلة المستقبلية التى سيمر بها المجتمع أو النظام الاجتماعى.

لا يمكننا تناول المنهج الاستقرائـى دون التعرض إلى الرواد الأوائل الذين كان لهم دور كبير فى نشوء وتطور هذا المنهج.

إن مستلزمات البحث العلمى عن المعرفة ولا سـيما المعرفة النظرية دفعت الفرابى إلى اعتماد المنهج الاستقرائى، فهو يستنتج بأن المجتمع الكامل هو المجتمع الفاضل الذى يجلب السعادة لأفراده وجماعاته. وإن المجتمع الناقص هو المجتمع الجاهل الذى يجلب الشر والأذى للأفراد والجماعات، علمًا بأن استنتاج الفارابى لفوائد المجتمع الكامل للفرد والجماعـة يستند على الصفات الإيجابيـة والحيوية التى يتمتع بهـا المجتمع الكامل، إذن فالاستقراء عنده يعتمد على استنساخ الحقائق العلمية الجديدة من فرضيات وأدلة وبراهين معروفة[١].

لقد ابتدع الغـزالى منهجية أصيلة فى البـحث والدراسة العلمية اعتمـد عليها فى جمع الحقـائق والمعلومات وتصنيفـها وتنظيرها واعتمـادها فى تفسير الظواهـر الإنسانية والحوادث الاجتماعية والمشكلات الحضارية التى يشهدها المجتمع الإنسانى[٢].

---

(١) الخشـاب، أحمد (الدكـتور)، التفكيـر الاجتمـاعى، دراسة تكاملية للنظرية الاجـتماعـية، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٤٣.

(٢) غيث، محمد عـاطف (الدكتور)، تاريخ الفكر الاجتماعى، دار المعرفة الجـامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧، ص ٤٠ - ٤١.

لقد استخدام الغزالي المنهج الاستقرائي في دراسته لموضوع التربية والسلوك فقال إن السلوك هو نتيجة حتمية للتربية الأسرية والأخلاقية والدينية التي يتلقاها الفرد في المجتمع, ومن جهة أخري ربط الغزالي بين الفاسدة والفاسدة وجمود وتخلف المجتمع من جهة أخري.فالغزالي يتعقد بأن التربية أساس السلوك, وأن السلوك يمكن تغيره عن طريق التربية والتهذيب[1].

تلك العملية التي يضطلع بها المعلم أو رجل الدين, كما يرى الغزالي أن الفكرة الإنسانية قابلة لكل شئ وأنه ليس مثل التربية والقيم الأخلاقية فالخير يصيب الإنسان من خلال التربية التي يتلقاها والشر يمسه إذا كانت تربيته ناقصة، وليس للإنسان بالفطرة ميل خاص لا إلى الخير ولا إلى الشر[2].

ويقول الغزالي أن النفس البشرية مقر للعلم والحكمة ومنبع لها، فالمعارف أصيلة فيها لا دخيلة عليها، لذلك وجب التعليم لتقويم النفس وتهذيبها وصقل معالمها الجوهرية، ويري أن هدف التربية هو بلوغ النفس كمالها، ولهذا وضع دستوراً شاملاً للآداب والأخلاق والمبادئ الواجبة على المتعلم والمعلم وطرق التعليم ووسائله ودعا إلى التمسك والاهتداء بنصوصها[3].

أما ابن خلدون فيقول بعد الانتهاء من جمع المادة حول ظاهرة معينة من خلال الملاحظة المباشرة والدراسة لمختلف الفترات التاريخية يمكن استخدام الاستقراء والتعليل والتحليل للوصول إلى القوانين العامة التي تحكم الظواهر المختلفة، ولهذا يجب على الباحث العمل على توضيح ما بين الظواهر والحوادث من اقتران سببي لأن الظواهر ترتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلوم، وقد درس ابن خلدون العلاقة السببية بين العامل الجغرافي والمظهر العمراني في أكثر من موضع وفسر كثرة

---

([1]) الحسن، إحسان محمد(الدكتور)، الجذور التاريخية لمناهج العلوم الاجتماعية العرب، المورد، العدد الثاني، ١٩٨٨، ص٧٤- ٧٥.

([2]) الرفاعي، أحمد فريد(الدكتور)، الغزالي، الجزء الأول، مطبعة عيسي ألبابي، القاهرة، ١٩٥٤، ص٢٧٥- ٢٨٠.

([3])الجميلي، رشيد عبد الله(الدكتور)، دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، مطبعة المعرفة، الرباط، ١٩٨٤،ص٢١٠- ٢١٥.

العمران وزيادة السكان بالظروف المناخية، واهتم بالموضوعية لأنه يريد أن يكون مذهبه متألقاً مع الوقائع وكشف القناع الذي يخفي الحقيقة ويبدد الظلمات المحيطة بالموضوع، لذا لجأ إلى البراهين المستمدة من طبيعة الأشياء ورفض كل الروايات البعيدة عن التصديق التي تصادفها لدي مؤرخي القرون الوسطي

إن محور ثقل نظرية ابن خلدون الايكولوجية يتمركز حول توضيح أثر البيئة الطبيعية والمناخية في قيام الحضارة، وأثر الأخيرة في طبيعة النظم الاجتماعية وسلوكية وأخلاقية الناس على اختلاف أوطانهم وأممهم.

أما نظريته في التحول الاجتماعي فتعتمد على منهجه الاستقرائي أكثر من أي منهج آخر استعمله في دراساته التاريخية والاجتماعية، حيث يؤكد على أن المجتمع سجل في طياته عوامل هدمه، فهو ينشأ بدوياً غايته تأمين ما هو ضروري للحياة، ولكنه لا يلبث أن ينتقل إلى مرحلة أعلي بفعل ما ينشأ فيه من ميل دائم إلى التحسين، وانتقاله هذا يولد تناقضات جديدة تؤدي بالنهاية إلى انحلال المجتمع وسقوط الدولة[1].

وقد وجد ابن خلدون في تزايد الترف في مرحلة المدينة السبب الأساسي في تفسخ المجتمع، وذلك لأن ركون مؤسسي الدولة الذين نشئوا يوماً ما في متاهات البادية وتحولوا إلى حياة الترف من شأنه أن يفسد أخلاقهم ويضعف الرجولة والشهامة فيفقدوا عبر أجيال محدودة كل صفات الرجولة والشهامة فيخرج جيل جديد من البادية يزيل الدولة القديمة ويقيم مكانها دولة جديدة.

أما ابن طفيل فيؤكد في رسالته الموسومة "حي بن يقظان" على مبدأ السببية الذي ينص على وجوب محدث لكل حادث.

وأوضح الماوردى في دراسته للعلاقة بين العقل والسلوك في كتابه "أدب الدنيا والدين" تأثير العقل في سلوك الفرد ودوره في التأثيرات غير العقلية، حيث يقول: "اعلم أن لكل فضيلة أساساً ولك أدب ينبوعاً وأسس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل"[2].

---

([1]) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق على عبد الواحد وافي، ج٢، ط١، لجنة البيان العربي، ١٩٥٨، ص٤٧٩.

([2]) حتى، فيليب، تاريخ العرب المطلوب، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، دار القلم، بيروت، ١٩٦٩، ص ٦٧٠-٦٨٠.

ومن خلال ما تقدم يمكننا القول بأن المفكرين الاجتماعيين العرب إبان فترة القرون الوسطي كالفارابي وابن خلدون وابن بطوطة والماوردى وابن سينا وابن طفيل والغزالي وغيرهم، قد برزوا في مناهج العلوم الاجتماعية قبل غيرهم من علماء ومفكري الأمم الأخرى فهم لم ينقلوا ويترجموا ما جاء به الفلاسفة الإغريق والرومان، كما يعتقد بعض المفكرين والكتاب الغربيين بل درسوا الإرث الاجتماعي والفلسفي والفكري للحضارات الإنسانية القديمة وأضافوا إليه الشيء الكثير وصوره في مجالات عديدة واكتشفوا مختلف النظريات والقوانين والعلوم الطبيعية والاجتماعية التي أخذها منهم الأوروبيون بعد فترة القرون الوسطي، وحقيقة كهذه تدفعنا إلى الاعتقاد بأن العرب كانوا رواداً في مجال البحث الاجتماعي والدراسة الاجتماعية كما كانوا رواداً في مجال الحضارة وتخصصاتها وأقسامها.

**٤- منهج المشاهدة والمشاهدة بالمشاركة:**

وهو المنهج الذي اعتمده رواد الفكر الاجتماعي العربي، ويتخلص أسلوب هذا المنهج بملاحظة البيئة وخواصها ومعالمها والقوي المؤثرة فيها مع التركيز على أنماط الحياة الاجتماعية وما تنطوي عليها من ظواهر وتفاعلات وعمليات سلوكية.

ومنهج المشاهدة بالمشاركة يتطلب استعمال وسيلة الملاحظة ووسيلة التفاعل والتعايش مع الناس الذين يقع عليهم البحث كما يتطلب من الباحث تكييف نفسه إلى المجتمع الذي يدرسه والتكيف يكون من ناحية الملابس واللغة والسلوك والعادات والتقاليد والقيم والطقوس[1].

إن المشاهدة بالمشاركة هي أحدي الطرق العلمية التي يستعملها العالم الاجتماعي، والتي يكون فيها جزء من الجماعة التي يراد دراستها من خلال المشاركة الكاملة في حياتها وفعالياتها اليومية[2].

لقد استعمل المفكرون العرب هذا المنهج لاشتقاق وجمع الحقائق والبيانات التي

---

(1) Moser, C. A., Survey, Methods in Social Investigation, Heine Mann, London, 1967. p 66.

(2) الربضى، فرج موسي، وعلي مصطفي الشيخ، في مبادئ البحث التربوي، عمان، مكتبة الأقصى، بدون سنة طبع، ص١٢.

اهتموا بدراستها واستعانوا به لتحليل الأنظمة الاجتماعية، وما تنطوى عليه من مبادئ وقوانين ومثل وأعراف لها أهميتها فى تحديد نماذج السلوك والعلاقات الإنسانية[١].

لقد اعتمد ابن سينا وابن خلدون والإدريسى وابن بطوطة على هذا المنهج فى استنباط حقائقهم وجمع معلوماتهم وصياغتها فى قوالب نظرية لها أهميتها فى وصف وتحليل مقومات البناء الاجتماعى وتفسير دوافع السلوك والعلاقات وتعليل الظواهر الاجتماعية بموجب العلاقة الجدلية بين السبب والنتيجة.

مما ذكر أعلاه نستنتج بأن منهج المشاهدة يعرف بأنه الأسلوب الفنى الذى يستخدمه الباحث فى رؤيته وتبصره وحصره للأشياء والظواهر والعوامل التى تقع أمام عينه.

استعمل المفكرون الاجتماعيون العرب هذا المنهج فى دراساتهم لنظم المجتمع كالأسرة والنظام الاقتصادى والدينى والسياسى، وفى دراسة العادات والتقاليد والطقوس الدينية والاجتماعية لمجتمعهم والمجتمعات الغربية التى زاروها ودرسوها دراسة علمية أثناء رحلاتهم الجغرافية وأسفارهم[٢].

وقد استعمل ابن بطوطة منهج المشاهدة والمشاهدة بالمشاركة فى دراساته الاجتماعية والأنثروبولوجية والجغرافية التى قام بها أثناء رحلاته إلى كافة أجزاء الوطن العربى ومن بلاد الهند والسند والصين... إلخ[٣].

إن كافة أفكار ابن بطوطة كانت نتيجة مشاهداته من خلال الأسفار والرحلات التى قام بها، فاشتق قوانين اجتماعية كونية يفسر أثر الأرض والمناخ فى قيام الحضارة الإنسانية وعلى قيم وعادات وأديان المجتمعات التى زارها واشتق قوانين اجتماعية كونية تفسر العلاقة بين المعالم الطبيعية والحضارات الإنسانية التى شهدتها المعمورة.

---

(١) سكينجر، رودنى، البحث التربوى أصوله ومناهجه، ترجمة محمد لبيب النجيمى ومحمد منير مرسى، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١١٠.

(٢) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، الأوليات التاريخية لاهتمامات العرب بعلم الاجتماع، مجلة المورد، العدد الثالث، ١٩٨٦، ص ٩٥.

(٣) دينكن، ميشيل (البرفسور)، معجم علم الاجتماع، ترجمة د. إحسان محمد الحسن، دار الطليعة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦، ط٢، ص ١١٧.

واعتمد ابن سينا على هذا المنهج فى دراسته لطبيعة المجتمع وطبيعة الإنسان وخواصه الذاتية والمجتمعية، حيث أوضح أن حياة الإنسان تختلف اختلافًا كبيرًا عن حياة الحيوان؛ لأن الحيوان يحيا حياة غريزية طبيعية، أما الإنسان فقد تنوعت صناعات مأكله وملبسه ومسكنه ما يستلزم الاستنباط والرؤية، فكثرت وتنوعت من جراء ذلك حاجاته؛ لذا أصبح من الضرورى وجود مجتمع يقوم على التعاون بين الأفراد، وهذا التعاون لا يتم إلا بتفاوت كفاءات الأفراد.

فى هذا المنهج يستعمل الباحث بصره وأحاسيسه وإدراكه فى تقصى الحقائق وجمع المعلومات واقتفاء الحوادث التى تقع فى الحقل الاجتماعى من خلال ملاحظة سلوك الأشخاص الذين يشاهدهم فى مواقف معينة(١).

ويعتقد ابن خلدون بأن على الباحث فى هذا المنهج أن يتأكد بوضوح وأن لا يتأثر بأهوائه الذاتية وآرائه المذهبية، أو يتخذ من الأساطير الوهمية وآراء الآخرين غير المؤكدة أساسًا للدراسة، ولذلك يجب الاعتماد على المشاهدة المباشرة التى تتم بطريقة علمية نقدية فى ضوء التجربة الشخصية للظاهرة المدروسة(٢).

وعلى هذا الأساس فإن ابن خلدون اعتمد أسلوبًا يجعل الدراسة والبحث ذا قيمة علمية عالية لا جدال فيها.

إن السمة الأساسية فى مؤلفات ابن خلدون هى إيثاره الملاحظة على التفكير النظرى مما جعل من المقدمة وثيقة فريدة فى تاريخ أفريقيا، واستفاد من كثرة أسفاره ومشاهداته للشعوب التى احتك بها وهى شعوب العرب والبربر فى تحليل الكثير من الظواهر الاجتماعية من خلال تعقبه للظاهرة الواحدة فى المجتمع الواحد فى مختلف العصور التاريخية لاختلافها بين فترة تاريخية وأخرى.

ولهذا اعتمد ابن خلدون فى بحوثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع فى الشعوب التى أتيح له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها وعلى تعقب هذه الظواهر فى تاريخ هذه الشعوب نفسها فى العصور السابقة لعصره وتعقب أشباهها ونظائرها فى تاريخ شعوب

---

(1) Lehmann,I. William, Educational Tesearch Reading, Winston, INC, 1971, p.98.

(٢) الحسن، عبد الباسط محمد (الدكتور)، أصول البحث الاجتماعى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١، ص ٨٤ - ٨٧.

أخرى لم يتح له الاحتكاك بها ولا الحياة بين أهلها والموازنة بين هذه الظواهر جميعًا والتأمل فى مختلف شؤونها للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية وصفاتها العرضية وما تؤديه من وظائف فى حياة الأفراد والجماعات والعلاقات التى تربطها بعضها ببعض والعلاقات التى تربطها بما عداها من الظواهر الكونية وعوامل تطورها واختلافها باختلاف الأمم والعصور(١).

وقال ابن خلدون إننا نستطيع بالملاحظة وبما نشاهده فى نفوسنا أن نعرف عن هذا العالم ما هو أقرب إلى اليقين. وكان ابن خلدون يرى أن القياس المنطقى لا يتفق فى الغالب مع طبيعة الأشياء المحسوسة؛ لأن معرفة هذه الأشياء لا تتسنى إلا عن طريق الملاحظة، وأن المنطق بنظره لا ينتج معرفة، ولكنه يرسم الطريق الذى ينبغى أن نسلكه فى تفكيرنا، فهو يرشدنا إلى طريق المعرفة وله من الفضل بقدر ما يحفظنا من الزلل. ولذلك يجب على العالم أن يفكر فيما تؤديه إليه التجربة غير أنه لا يكتفى فى هذا الصدد بتجاربه الفردية، بل يجب أن يستفيد من مجموع تجارب الإنسانية(٢).

والمعنى العام للملاحظة هو رؤية وفحص ظاهرة معينة مع الاستعانة بأساليب البحث الأخرى التى تتلائم مع طبيعة هذه الظاهرة(٣).

ولا تنحصر الملاحظة فى توجيه الحواس فقط، ولكنها تنطوى على عمليات عقلية وتدخل إيجابى من جانب العقل، وقد يصل إسهام العقل فى الملاحظة إلى درجة الابتكار والاختراع، ويبدو ذلك واضحًا عند وضع الفروض والسعى الدائب إلى تحقيقها علميًا.

ومن خلال ما تقدم يمكننا أن نعرّف منهج الملاحظة والملاحظة بالمشاركة بأنه مجموعة من العمليات العقلية تتعاقب وفق مخطط منهجى مرسوم، لكن الملاحظ يجب

---

(١) وافى، على عبد الواحد (الدكتور)، عبقرية ابن خلدون، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٠٠ - ١١٥.

(٢) الزوبعى، عبد الجليل (الدكتور)، ومحمد أحمد الغنام، مناهج البحث فى التربية، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ج١، ١٩٨١، ص ٢٠٦.

(3) Evans - Pritch ard, S. Social Anthropology, Routledge Paper Back, London, 1967, pp. 69 - 70.

أن يفصل حياته الذاتية والنفسية وأذواقه وميوله واتجاهاته عن الموضوع الذى يشاهده والحقائق التى يدونها عن موضوع الملاحظة يجب أن تكون مشتقة من طبيعة الموضوع الخارجية والداخلية وليس من تصورات وأهواء ومقاصد الملاحظ.

ويستعمل الباحث عدة وسائل وإجراءات لأجل الحصول على الدقة العلمية وقياس العناصر المدروسة بصدق وأمانة، ومن هذه الوسائل المذكرات التفصيلية والصور الفوتوغرافية والخرائط واستمارات البحث[1].

***

(١) زهران، حامد عبد السلام (الدكتور)، علم النفس الاجتماعى، القاهرة، ط٣، ١٩٧٤، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.



obeikandl.com